

اسبال الكساء على النساء

لخاتمة الحفاظ

جلال الدين السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

ويليه

(تحفة الجلساء برؤية الله للنساء)

له أيضاً

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بيروت — لبنان

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nashar 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصحح :

إنَّ الحَمْدَ لله نَحْمَدُهُ ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ...

مَن يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

(وبعد)

خاتمة الحفاظ

فهذا كتابٌ من مكتبة أبي الفضل جلال الدين السيوطي الذاخرة بالمصنفات في شتى أنواع العلوم مما رَبَى على الستمائة مصنَّف ، فكان ــ رحمه الله ــ بحَق مُعجزة عصرِه بل هو آيةٌ من آيات هذا الدين الحنيف الذي رَفَعَ العِلْمَ وشَرَّفَه وقرنه بالعبادة قَرْناً ، فظهر هذا العدد المهول الذي لا يكاد يُحصى من العلماء في جميع العلوم نقليّة وعقليّة ، وإنَّ المسلم ليفخر بحق

بهذا الانجاز العظيم الذي نتج عن هذه الحركة العلمية الباهرة فصنفت كتباً لا حصر لها لم تصل أمةٌ من الأمم إلى معشار ذلك أو أدنى .

وهذا هو الجلال السيوطي واحدٌ من هؤلاء الأفذاذ قد ترك لنا تراثاً عظيماً من كتب العلم وهذا واحدٌ من ذلك التراث الهائل أقدّمه اليوم — لأول مرة — ليُنتَفَعَ به ألا وهي رسالته المسماة :

« إسبال الكساء على النساء »

تعريف بالمصنف

الحافظ جلال الدين السيوطي

(٨٤٩ – ٩١١ هـ) – (١٤٤٥ – ١٥٠٥ م)

هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن همام الدين الخضيريّ الأصل ، الطولونيّ ، المصري ، الشافعي ، جلال الدين ، أبو الفضل .

ولد في رجب ، ونشأ بالقاهرة يتيماً ، وقرأ على جماعة من العلماء ، ولمّا بلغ أربعين سنةً اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً فألّف أكثر كتبه حتى تُوفّي في جمادى الأولى بمنزله بروضة المقياس ، ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة رحمه الله .

صنف في الحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، والتفسير ، والبلاغة ، والنحو ، والتاريخ ، وغير ذلك كثير .

أراد أن يجمع السنّة النبوية جمعاء القولي منها والفعلي فصنّف « الجامع الكبير » (أو : جَمْع الجوامع) ثم انتخب منه ما رآه صحيحاً في « الجامع الصغير » وله عليه ذيل استدرك فيه ما فاته .

وإذا ذهبنا نستقصي ذكر كتبه طال بنا المقام وليس ذا بمقام إطالة فلنمثل لما صنفه :

له : الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، والمزهر ، اللغة ، وحُسْن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وتدريب الراوي بتقريب النواوي ، وله منظومة في الحديث ، ومنظومة في أصول الفقه تَنظِمَ فيها جمع الجوامع للسبكي ، وغير ذلك كثير .

أنظر : الضوء اللامع ٤/ ٦٥ : ٧٠ — شذرات الذهب ٨/ ٥١ : ٥٥ — الكواكب السائرة ١/ ٢٢٦ — ٢٣١ — النور السافر ٥٤ : ٥٨ — ...

تعريفٌ

بإسبال الكساء ، وأصله المخطوط

على عكس ما قد يتبادر إلى الأذهان عند قراءة اسم هذا المصنف يبحث السيوطي فيه مسألة رؤية المؤمنين ، المؤمنات لله رب العالمين في دار الآخرة وفي جنة النعيم .

وهذه المسألة قلّ من طرقها من أهل العلم وقد تعرّض لها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (أنظر مجموع الفتاوى جـ ٦) .

ويفرد المصنِّفُ هنا الجزء الأكبر في بحث رؤية المؤمنات لله سبحانه في الجنة في مجلس الجمعة .

وإني إذ أقوم بتصحيح هذا المصنف أرجو ألاّ يفهم إخراجي له على أنني أوافق المصنِّف — رحمه الله — فيما وصل اليه .

• الاصل المخطوط :

اعتمدنا في هذه الرسالة على نسخة خطية كتبت سنة ١٢٤٥ من الهجرة المحفوظ بدار الكتب المصرية العامرة تحت رقم (٢٠١٠٨ — ب) .

بخط لا بأس به ضبط أحياناً ببعض الحركات .

كتب بمداد أسود وتميز بداية الكلام بكتابته بالمداد الأحمر تقع في ٢٠ لوحة ، في كل صفحة ١٩ سطراً ، وعند اللوحة ٤/ ب تغيرت قاعدة الخط وقل عدد سطور الصفحة إلى ١٦ سطراً . وقد كتب أسفل اللوحة الأولى (أسد عليّ وفي الحروب نعامة) .

ويشتمل على بعض الحواشي في بعض الصفحات يرجح أنها ليست من المصنف لما في بعضها من ردود على كلام المصنف .

• الناسخ : عبد الكافي بن أحمد بن أحمد بن عابدين .

وفقنا الله تبارك وتعالى لما يحب ويرضى وأعاننا على إخراج الدفين من كتب العلم .

« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

والله الموفق .

أبو الفداء

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

إسبالُ الكساء على النساء

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الحجة أبي الفضل جلال الدين

عبد الرحمن ابن الشيخ كمال الدين السَّيُوطي الخُضَيْري

خادم السُّنة المطهرة

تغمده الله برحمته ورضوانه — آمين

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله وحده.

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّر ولا تُعَسِّر يا كريم

الحمدُ لله وكَفَى ، وسلامٌ على عبادِهِ الذين اصْطَفَى .

(وبعد) فيقول الإمام العالم العلامة الحافظ الفهامة الحجّة : أبو الفضل جلال الدين : عبد الرحمن بن الشيخ كمال الدين السيوطي الخُضَيْرِي خادم السنة المُطَهَّرة تغمده الله تعالى برحمتِهِ ورِضْوانِه :

إعلم وفقني الله تعالى وإياك أنّ الذي أجمع عليه المسلمون من جميع الفِرَق أنّ الذين لا يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرةِ هم الكُفّار . وهو المَنْصوص في القرآن العظيم : قال الله تعالى : (كلاّ إنَّهُم عَن ربِّهِم يَومَئِذٍ لمَحْجوبون) [1] . وأنّ الذين أجمعَ أهل السنةِ على أنَّهُم يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرةِ هُمْ المؤمنون من رجالِ بَنِي آدم من هذه الأمة المحمدية .

ووراءَ ذلك أربعُ فِرقٍ جرى فيها الخِلافُ . وهم : الملائكة عليهم السلام ، والمؤمنون من الجِنّ ، والمؤمنات من نساء هذه الأمّة ، والمؤمنون من رجالِ الأمَمِ السابقة [2] . وهانحن نُبَيِّنُ لك ذلك .

---

(١) ٨٣/١٥ — القيامة .

(٢) أغفل المصنف لذكر المؤمنون من رجال الأمم السابقة بأي تفصيل لكنه لم يغفل في تحفة الجلساء فانظره هناك ان شئت والله المستعان .

(أولاً : الملائكة)

فأمّـــا الملائكةُ – عليهم السلام – فذكر الشيخ عز الدين ابن عبدالسلام(١) اجتهاداً لنَفسِه لا نَقْلاً عن أحَدٍ أنّهُم لا يَرَوْنَ ربَّهُم . واحتج على ذلك بقولِه تعــالى : (لا تُدْرِكُهُ الأبْصارُ) (٢) فإنّه عـــامٌ خُصَّ بالآيةِ والأحاديث في المؤمنين مبقي على عمومه في الملائكة(٣) .

وقد نقل عنه هذه المقالة صاحب آكام المرجان في أحكام الجان من

(١) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد السلمي الدمشقي الشافعي . (٥٧٧ – ٦٦٠ هـ) – (١١٨١ – ١٢٦٢ م) فقيه ، ومشارك في الأصول ، والعربية ، والتفسير من مصنفاته : القواعد الكبرى في أصول الفقه ، القواعد الصغرى ، الغاية في اختصار النهاية ، تفسير القرآن الكريم ، وغيرها .

(٢) لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (٦/١٠٣) – الأنعام .

(٣) بهامش الأصل :

قوله واحتج ... الخ ؛ أقول : لما قال المعتزلة استدلالا على نفي الرؤية بهذه الآية أن الإدراك المضاف إلى الأبصار إنما هو الرؤية على نعت الإحاطة بجوانب المرئي إذ حقيقته النيل والوصول ؛ يقال : « أدركت الثمرة » أي : وصلت إلى حد النضج . ثم نقل إلى الرؤية المحيطة والرؤية المكيفة أخص من المطلقة فلا يلزم من نفيها نفيها فهذا مسلك آخر ، فما قاله ابن عبد السلام لم يتعين مسلكاً ، فلا ينهض احتجاجاً ، وعليه هذا يتم حديث قلب قالب الدليل الآتي عن بعضهم فافهم . اهـ .

متأخري الحنفية وأقَرَّهُ عليها[1] ، ونقلها أيضـاً شيخ شيوخنا العلامة عز الدين بن جَماعة[2] في كتابه شرح جمع الجوامع ولم يتعقب ذلك بنكير . وقد كنتُ قلَّدتُهُ في ذلك قديماً في بعض تصانيفي ثم رأيتُ الحديثَ ورَدَ بأنَّ الملائكةَ — عليهم السلام — يَرَوْنَ ربَّهُم في الآخرة والنقل بذلك للبيهقي فصِرْتُ اليه .

قال البيهقي[3] في كتاب الرؤية[4] :

باب ما جاء في رؤية الملائكة ربهم .

فأخرَجَ فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال : خلق الله تعالى الملائكةَ لعبادته أصنافاً ، وإنَّ منهُم الملائكةَ قياماً

---

(1) قال الشبلي في آكام المرجان (ص٦٠ — ٦١) :
قد وقع في كلام ابن عبد السلام في القواعد الصغرى ما يدل على أن مؤمني الجن إذا دخلوا الجنة لا يرون الله تعالى ، وأن الرؤية مخصوصة بمؤمن البشر فانه صرح بأن الملائكة لا يرون الله تعالى في الجنة ، ومقتضى ذلك أن الجن لا يرونه فانه صرح قال : « وقد أحسن الله تعالى إلى النبيين والمرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات ، والإذعان ونعيم الجنان ، ورضا الرحمن والنظر إلى الديان مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأبد الرضوان ، ولم يثبت للملائكة مثل ذلك ، ولا شك أن أجساد الملائكة أفضل من أجساد البشر ... الخ كلام العز ابن عبد السلام .

(2) هو محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل ، المصري ، الشافعي . (٧٤٩ — ٨١٩ هـ) — (١٣٤٩ — ١٤١٦ م) . فقيه ، أصولي ، محدث ، متكلم ، أديب ، نحوي ، لغوي ، ومشارك في غير ذلك . من تصانيفه : شرح المنهل الروي في علوم الحديث النبوي ، مختصر الروض الأنف في شرح غريب السير ، حاشية على مطالع الأنوار للأرموي في المنطق ... الخ .

(3) هو الحافظ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي ، أبو بكر . (٣٨٤ — ٤٥٨ هـ) . قال إمام الحرمين : « ما من شافعي إلا والشافعي فضل عليه غير البيهقي فان له المنة على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه » . اهـ . له من المصنفات الكثير أشهرها : السنن الكبرى ، وله الأسماء والصفات ، ومناقب الشافعي ، ودلائل النبوة ، وغير ذلك .

(4) لم يطبع كتاب الرؤية حتى الآن فيما أعلم .

صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلّى لهم تبارك وتعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » .

ثم أخرج من وجه آخر عن عديّ بن أرطأة رجلٌ من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أن رسول الله ﷺ قال إنّ لله تعالى ملائكة ترعدُ فرائصهم من مخافته ، ما منهم مَلَكٌ تقطر دمعة من عينه إلاّ وقعتْ ملكاً يسبحهُ تعالى ، وملائكة سُجوداً منذ خلق الله تعالى السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصُفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يومُ القيامة تجلّى لهم تبارك وتعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا : « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك »[1] .

ثم أخرج من وجه آخر عن عدي بن أرطأة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : إنّ لله تعالى ملائكة ترْعَدُ فرائصهم من مخافته — عز وجل — ما منهم ملكٌ تقطر من عينه دمعة إلا وقعت مَلَكاً يسبحه تعالى ، وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم جَلّ وعزّ فينظرون إليه قالوا : « سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك »[2] .

(١) أخرجه البيهقي في الرؤية ، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة (فيما قال ابن كثير) قال ابن كثير في التفسير (٢٩٧/٨) بعد أن ساقه بإسناده : وهذا إسناد لا بأس به . اهـ .
وقد أخرج الحاكم في المستدرك هذا الحديث (٨٦/٣ — ٨٧) ثم قال : هذا حديث على شرط البخاري ولم يخرجاه . اهـ . لكنه لم يذكر لفظ نظرهم إلى وجهه سبحانه وتعالى .
وقد ساق المصنف في (تحفة الجلساء) سند البيهقي فانظره إن شئت هناك .
(٢) أنظر ما قبله .

(ثانياً : الجنّ)

وأما الجن فذكر صاحب كتاب آكام المرجان في أحكام الجان[1] . قال : قال ابن عبد السلام رحمه الله تعالى في أن الملائكة لا يرونّ ربهم ، ثم قال : (والجن أولى بالمنع منهم) ، وهذا القول ظاهر جداً لأن الأحاديث الواردة في الرؤية إنما خرجت خطاباً للإنس وإخباراً عنهم خصوصاً أنّ الإمام أبا حنيفةّ رضي الله تعالى عنـه وجماعة قالوا : إنّ مؤمني الجن لا يدخلونّ الجنةّ وإنما جزاؤهم النجاة من النار[2] .

(١) أنظر تعليقنا رقم «٦» .

(٢) بحاشية الأصل :

(والصحيح أن الملائكة ومؤمنو الجن يرون ربهم في الآخرة كما ذكره القاني في شرح جوهرته — كذا — الكبير . فراجعه إن شئت) . اهـ .

(ثالثاً : النساء)

وأما النساء من هذه الأمة المحمدية وبسببهن ألّفت هذا الجزءَ فقد وقفْتُ منــذ أكثر من عشر سنينَ على نقل لبعضهم أنّهُنَّ لا يَرَيْنَ ربّهُنَّ ولا يحضرن الزيارة ستراً لهُنَّ في الآخرة كما أمِرْنَ بالستر في الدنيا ، وكنت أستبعد هذا القول جداً وأستند إلى العمومات في أنهن يَرَيْنَ ربهن ، فلما صنفت كتاب « البعث » واستقريْتُ الأحاديثَ الواردة في الرؤية فلم أجد فيها تصريحاً بأنّهُنَّ يَرَيْنَ ربهن ، ووجدت أحاديثَ الزيارة يومَ الجمعة التي تقع فيها الرؤية دالّةً على أنهن لا يحضرن مجلسَ الزيارة ولا يرينَ ربهن معَ من يرى في ذلك المجلس ، فقَوِيَ عندي رجحان تلك المقالة على تفصيلٍ أبَيِّنُهُ إن شاء الله تعالى .

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبو يعلى والآجري والبيهقي كلاهما في كتاب الرؤية وغيرهم من طُرق جيدة عن أنسِ بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريل وفي يده مِرآةٌ بيضاء فيها نقطة سوداء . فقلت : ما هذه يا جَبريل ؟ فقال : هذه الجُمعة يَعرضها عليك ربُّك لتكونَ لك عيداً ولأمتك من بعدك . فقلت : ما لَنا فيها ؟ فقال : لكم خير ، وهو سيّد الأيام عند الملائكة ، ونحن نَدعوه في الآخرة يومَ المزيد . فقلت : يا جبريل لِـمَ تدعونه يوم المزيد ؟ فقال : إنَّ رَبَّكَ عز وجل اتّخَذَ في الجنةِ وادياً أفْيَحَ[1] من مِسْكٍ أبيض ،

(١) بهامش الأصل : (الأفيح : الواسع جداً) . اهـ .

فإذا كان يوم الجمعة [1] نزل تبارك وتعالى [2] على كُرْسِيِّهِ ثم حَفَّ الكُرسي بمنابر من نور ، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حَفَّ المنابرَ بكراسيَّ من ذهب ثم جاءَ الصِّدِّيقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ، ثم يجيء أهلُ الجنَّةِ حتى يجلسوا على الكثيبِ [3] ، فيتجلّى لهم ربُّهُم تبارك وتعالى في كل جمعة [4] .

وأخرجَ البزار في مسنده والأصبهاني في ترغيبه عن حُذيفة بن اليمان رضيَ الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : أتاني جبريلُ وفي كفّه مثل المرآة في وسطها لمعة سوداء ، فقلت : يا جبريلَ ما هذه اللمعة

---

(١) بالأصل : القيامة — خطأ .

(٢) بهامش الأصل : (المراد بالنزول : التجلي ، لأنه سبحانه وتعالى منزه عن النزول حقيقة . وقوله : « على كرسيه » : أي يكون التجلي أولا واقعاً أثره على الكرسي ، فيكون ذلك علامة لهم على تجليه عز وجل عليهم . أو المراد بالكرسي : العظمة والكمال) . اهـ وهذا تأويل يحرف النصوص والصحيح أن يقال : نعم ينزل سبحانه نزولا منزهاً عن التجسيم والتشبيه والتأويل . وليس هذا مقام إطالة ، قال الترمذي في سنته (٥/٦٩٢) : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينه ووكيع وغيرهم أنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ، ونؤمن بها ، ولا يقال كيف . وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ، ويؤمن بها ، ولا تفسر ، ولا تتوهم ، ولا يقال كيف . وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه . اهـ . فاعلم هذا وعض عليه بالنواجذ .

(٣) الكثيب : المكان المعد للزينة والبهجة والنضارة . وفي النهاية لابن الأثير : الكثيب : الرمل المستطيل المحدودب .

(٤) اختصر المصنف الحديث هنا ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٥٥٥) . رواه ابن أبي الدنيا ، والطبراني في الأوسط باسنادين أحدهما جيد قوي ، وأبو يعلى مختصراً ، ورواته رواة الصحيح . اهـ .

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٤٢١ — ٤٢٢) : ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وأحد أسناد الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيره ، وإسناد البزار فيه خلاف . اهـ .

السوداء؟ قال : هذا يومُ الجُمُعة . فقلت : وما يوم الجُمُعة؟ قال : يومٌ من أيام ربِّكَ عظيمٌ . فذكر شرَفَهُ وفَضْلَهُ واسمه في الآخرة ، فإذا كان يوم الجمعة في الوقت الذي كانت تخرج فيه أهل الجنة إلى جُمُعَتهم نادى منادٍ يا أهل الجنَّة اخرجوا إلى دار المزيد . فيخرجون في كُثْبانٍ من مِسكٍ ، فتخرجُ غِلمانُ الأنبياءِ على منابر من نورٍ ، وتخرُجُ غِلمانُ المؤمنينَ على كراسيَّ من ياقوتٍ . فإذا قعَدوا وأخذَ القومُ مجالِسهُم يقول الله تبارك وتعالى : «أينَ عباديَ الذين أطاعوني بالغيب ، وصدّقوا رسولي؟ فهذا يوم المزيْد فاسألوني» . فيجتمعونَ على كلمةٍ واحدة : «أرِنا وجهكَ الكريمَ . ننظر إليه» . فيكشِفُ الله تعالى عنهم الحُجُبَ ويتَجلّى لهُم ، فيغشاهم من نوره ، ثم يُقالُ لهم : (ارجِعوا إلى منازِلِكُم) ، فيرجعونَ وقد خفَوا على أزواجهم . فيقول لهم أزواجُهُم : «لقَد خرَجتُم من عِندِنا بصورةٍ ورجعتُم إلينا بغيرها! فيقولون : «تجلّى لنا ربُّنا عز وجل فنظرنا إلى ما خفينا به عليكُنَّ» . فهم يتقلبونَ في نعيم مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة أيامٍ» .(1) .

فهذا الحديث أيضاً صريحٌ في الرؤية في كل جمعة ، وأنه إنّما يحضُرُها الرجالُ دونَ النساءِ .

ــ وأخرج ابن المبارك في الزهد والطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : «تَسارَعوا إلى الجُمعةِ فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة في كل جمعة في كثيبٍ من كافور أبيضَ فيكونون منه

(1) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (10/422) :
«وفيه القاسم بن مطيب ، وهو متروك» . اهـ .

في القُرْب على قَدْر تسارُعهم إلى كل جمعة في الدنيا ، فيُحدث الله تبارك وتعالى لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوْه قبل ذلك ، ثمّ يرجعون إلى أهليهم فيحدثونَهن بما أحدث اللهُ تعالى لهم »[1] .

ـ وأخرج البيهقيّ في كتابِ الرؤية عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال : « إنّ أهل الجنة يرون ربهم في كُلّ جُمُعَةٍ في رِمالِ الكافور ، وأقربهم منه مجلساً أسْرَعُهُم اليه يوم الجمعة وأبكرهم غُدُوّاً »[2] .

ـ وأخرج اللاّلكائي والبيهقي عن علي كرم الله تعالى وجهه قال قال رسول الله ﷺ : « يَزُور أهل الجنَّةِ الرَّبَّ تبارك وتعالى في كل جمعة ويكشِف عنهم حجاباً ثم حجاباً حتى يتجلى لهم عن وجهه الكريم فكأنهم لم يَرَوا نعمةً قبل ذلك وهو قوله تعالى : « ولدَينا مزيد » .

ـ وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : « إنّ أهلَ الجنَّةِ يتزورونَ ربَّهُم في كُلّ جُمُعَةٍ فلا يَبْقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضَرَه الله تعالى محاضرةً حتى يقول سبحانه وتعالى للرجل: « يا فلان ابنَ فلان : أتذكُر يومَ فعلتَ كذا وكذا ؟ » إلى أن قال : ثم ننصرِف إلى منازلنا فتتلَقّانا أزواجُنا فيقُلْنَ مَرحَباً وأهْلاً لقد جئتَ وإنّ لك من الجمال أفضل ممـا فارَقْتَنا عليه . فيقول أنا قد جالسنا اليوم ربّنا الجبار »[3] .

---

(١) الزهد لابن المبارك (رقم ٤٣٦ ـ من رواية نعيم بن حماد) .
(٢) أنظر رقم « ١٨ » .
(٣) لم أجده بهذا اللفظ في الترمذي وإنما هو في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه (رقم ٤٣٣٦) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ١٧٨) : وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه . ا هـ .

وأخرج ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم من مُرسَلِ أبي جعفر الباقر رضي الله تعالى عنه مَرفوعاً قال : بَيْنَا أهل الجنة يتحدثونَ إذ[1] جاءتهم الملائكة يقودونَ نجُباً فأناخوها ، ثم قالوا لهم : إنَّ ربَّكُم عز وجلَّ يقرئكم السلام ويريدكُم لتنظروا إليه وينظر إليكم ؛ فيتحوَّل كل رجُلٍ منهُم على راحلته ، فلما دفعوا إلى الجبار عز وجل أسفر لهم عن وجهه الكريم تحيتهم فيها سلامٌ ... الحديث بطوله[2] .

ـ وأخرج يحيى بن سَلامٍ من مرسَل الحسن مرفوعاً : إنَّ أهْلَ الجنَّة ليَنظُرونَ إلى ربهم عز وجل في كُلِّ جُمُعةٍ عَلى كثيبٍ من كافور[3] لا يُرى طَرَفاه ، وفيه نَهْر جارٍ حافَّتاه المِسْك ، عليه جَوارٍ يَقرأنَ القرآنَ بأحسنَ أصواتٍ سَمعها الأوَّلونَ والآخرون ، فإذا انصَرَفوا إلى مَنازِلهم أخذَ كلُّ رجُلٍ منهُم بيَدِ ما شاءَ منهُنَّ ، ثم يمرونَ على قناطيرَ من لؤلؤٍ إلى منازلهم ، فلولا أنَّ الله تبارك وتعالى يهديهم إلى منازلهم ما اهتَدَوْا إليها لما يحدث لهم في كل جمعة[4] .

---

(١) في الأصل : (إذا) خطأ ، وما أثبتناه في الحلية .

(٢) ملحق من حاشية الأصل وهي مثبتة أيضاً في الحلية .

(٣) أبو نعيم في الحلية (٦/٢٠٨ — ٢٠٩) وهو مرسل كما هو بين وبه صرح المصنف هنا ، فهو غير صالح للاحتجاج عند من لم يحتج بالمرسل .

(٤) ساق القرطبي في التذكرة (ص٤٩٣ — ٤٩٤) سند يحيى بن سلام فقال القرطبي : يحيى بن سلام قال : أخبرنا رجل من أهل الكوفة عن داود بن أبي هند عن الحسن قال قال رسول الله (ص) ... فذكره . ومن هنا يظهر لك أن هذا الاسناد لا يصلح للاحتجاج إذ فيه إبهام وإرسال ، ومرسلات الحسن عندهم كالريح لا تصلح للاحتجاج .

وأخرج الأجُرِّي عن كعب الأحبار[1] رضي الله تعالى عنه قال : إنَّ اللهَ عزَّ وجل يبرز لأهلِ الجنَّةِ في كُلِّ جُمُعَةٍ فيخرجون إليه في رياضِ الجنَّةِ ثم يرجعونَ إلى أزواجهم وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحُسْنِ والجمالِ سبعينَ ضعفاً .

ـ وأخرجَ ابن أبي الدُّنيا عن صَيْفيِّ اليماني رضي الله تعالى عنه قال : إنَّ أهلَ الجنَّةِ يَغْدُون إلى الله عز وجل في كل يومِ خميس ، فتوضع لهم أسِرَّة ثم يقول الله تبارك وتعالى لأتجَلَّيَنَّ على عبادي حتى ينظروا إليَّ . فإذا تجلى لهم فنظروا اليه نَضِرَتْ وجوهُهُم ، ثم يقال لهم : ارجعوا إلى منازِلكُم فيرجعونَ ، فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتُم مِن عندِنا على صورةٍ ورجعتم على غيرها ! فيقولون : « إنَّ الله تبارك وتعالى تجَلّى لنا فنظرنا اليه فنَضَرتْ وجوهنا » .

فهذه الأحاديث والآثار كلها صريحة في اختصاصِ الرجال بالزيارة والرؤية دون النساء .

---

(١) هو كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق ويعرف بكعب الأحبار كان حبراً من أحبار اليهود قبل أدرك الجاهلية وقد أسلم في زمن خلافة عمر رضي الله عنه وقيل بل في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . وقد روى كعب الأحبار أحاديث مرسلة عن النبي (ص) وروى عن عمر ، وصهيب ، وعائشة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام ، توفي بحمص سنة ٣٢ هـ .

طبقات الناس في الرؤية

وهذه أحد أقسام الرؤية فإنّ العلماء رضي الله تعالى عنهم لما ذكروا الأحاديثَ الواردة فيها دلّتْ على أنّ الناسَ في الرؤية على ثلاث طبقات :

— **الطبقة الأولى** : مَن يَرى ربَّه في كُلّ جُمُعَة . وهذه يشترك فيها الخلق بأسرهم : الأنبياء ، والصِّدّيقون ، والشهداء ، وسائر المؤمنينَ والخواصُّ والعوام .

وهذه أحاديثها قد دلّتْ على اختصاص ذلك بالرجال دون النساء . فلو كان للنساءِ نصيب في الرؤية لحَضَرْنَ يومَ الرؤية العامة[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله بعد أن أورد بعض هذه الأحاديث (أنظر مجموع الفتاوى ٦/٤١٩) : « ومضمون هذا الحديث أن أزواجهم لم تكن معهم في جمعة الآخرة ولا في سوقها ، لكنه لا ينفي أنهن رأين الله في دورهن ، فإن الرجال قد علوا زيادة الحسن والجمال كما تقدم في أصح الأحاديث . اهـ . وقال أيضاً (مجموع الفتاوى ٦/٤٠١) : إن شئت أن تقول « أحاديث الإثبات » تعم الرجال والنساء ، و « أحاديث النفي » تنفي عن النساء ما علم أنه للرجال ، أو ما ثبت أن فيه الرؤية ، أو تنفي عن النساء الرؤية في الموطنين اللذين أخبروا بالرؤية فيهما ، لكن هذا سلب في حال مخصوص ، لم يتعرض لما سواها لا بنفي ولا بإثبات والمسلوب عنه لا يعارض العام . اهـ .

وقال رحمه الله (مجموع الفتاوى ٦/٤٠٦) : ومن الممكن في العقل أنهن إنما لم يشهدن رؤية الجمعة لأنه يجتمع الرجال والغيرة في الجنة ألا ترى أن النبي (ص) لما رأى الجنة ورأى قصراً وعلى بابه جارية قال : « فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك » ، فقال عمر « أعليك أغار » . والله أعلم بحقائق الأمور فإذا كان كذلك فهذا مختص في رؤية الغداة والعشي لأن تلك الرؤية قد تحصل وأهل الجنة في منازلهم . اهـ .

وقد ظهر لي في ذلك معنى لطيف وهو أنَّ الرؤيةَ في يوم الجمعة جُمعات كالجزاء لصلاة الجمعة بدليل بعض الآثار السابقة وما أخرجه ابن ماجه وغيره عن ابن مسعود رضيَ الله تعالى عنه أنَّ الناسَ في القُرْبِ مِن الله عز وجل على مِقْدارِ سَبْقِهم إلى الجمعة[1] .

ورُوِيَ عنه رضيَ الله تعالى عنه أنّه حَضَرَ المسجد يوم الجمعة فوجد ثلاثةً قد سَبَقوه إلى المسجد فقال : رابع أربعةٍ وما رابع أربعةٍ ببعيدٍ[2] .

وقد تقرر أنَّ النساءَ لا جمعة عليهنَّ فلا يَبعُد أن لا يكونَ لهن نصيب في الرؤية .

ــ الطبقة الثانية : مَن ينظُر إلى وجهِ ربِّه الكريم بُكرةً وعشيّةً كما أخرج البيهقي في الشُّعَبِ عن الأعمش قال : « إنَّ أشرف أهلِ الجنّةِ لَمَن يَنظُر إلى الله تعالى غُدْوةً وعشيّةً » .

وأخرج الترمذيُّ وغيرُه من طُرقٍ جيِّدةٍ عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أدْنى أهلِ الجنّةِ منزلةً

(١-٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (رقم ١٠٩٤) بسنده عن علقمة قال : خرجت مع عبد الله إلى الجمعة فوجد ثلاثة — وقد سبقوه — فقال : « رابع أربعة ، وما رابع أربعة ببعيد ، إني سمعت رسول الله (ص) يقول : « إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات ، الأول والثاني والثالث » .

ثم قال : رابع أربعة ، وما رابع أربعة ببعيد » . وقد حسن البوصيري إسناد هذا الحديث فقال في زوائده (١/١٣٠) : (هذا إسناد فيه مقال : عبد المجيد هذا هو ابن عبد العزيز ابن أبي داود وإن أخرج له مسلم في صحيحه فانما أخرج له مقروناً بغيره فقد كان شديد الإرجاء داعية إليه ، ولكن وثقه الجمهور أحمد ، وابن معين ، وأبو داود والنسائي ، ولينه أبو حاتم ، وضعفه ابن حبان . وباقي رجال الإسناد ثقات ، فالإسناد حسن . اهـ .

لِمَن ينظُر إلى جِنانه وأزواجِه ، ونَعيمِه[1] وخَدَمِه وسُرُرِه مَسيرةَ ألفِ سنة . وإنَّ أكرمَهُم على الله عز وجل لَمَن ينظُرُ إلى وجهه الكريم غَدوةً وعَشيةً . ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : « وُجُوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إلى ربِّها ناظِرة »[2] .

فهذا الحديث ظاهر في اختصاصِ ذلك بالرجالِ كما ترى ، وبقيةُ الأحاديث الواردة في الرؤية كلُّها خِطاب للرجال كقوله ﷺ : (إنكم سترَوْنَ ربَّكُم)[3] ، فهذه صيغةُ خطاب الذكور ، وإنما دخلْنَ في خطاباتِ الصَّلاةِ والزَّكاةِ ونحو ذلك لدليلٍ من خارجٍ دلَّ على الشمول .

وقد خرَّج النووي في الروضة[4] على هذا الأصل مَثيلة الواعظ الذي طلبَ من الحاضرين شيئاً فلم يُعطوهُ فقال : (طلقتُكُم ثلاثاً) ، فتبين أنَّ زوجته كانت فيهم ، فقال النَّوَويّ أنَّ الطلاقَ لا يقعُ عليها لأنَّ قوله : (طلقتكم) خطاب للذكور والأصحّ في الأصول أنَّ النساءَ لا يدخلنَ فيه .

---

(١) ليس هذا اللفظ في الترمذي .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه التفسير رقم (٣٣٨٦) ، وفي صفة الجنة (رقم ٣٠٠٢) ، وأحمد في المسند (٣/٢٢١) وغيرها . وقال الترمذي (رقم ٣٣٨٦) : هذا حديث غريب . اهـ .

(٣) هذا الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري : الصلاة (١/١٤٠) ، ومسلم : المساجد (رقم ٢١١) عن جرير رضي الله عنه ، ولفظ البخاري :

عن جرير قال : كنا عند النبي (ص) فنظر إلى القمر ليلة — يعني البدر — فقال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) .

(٤) أنظر روضة الطالبين للنووي (٨/٣٧) .

الرد على الاستدلال بقوله تعالى:
« ولهم ما يدّعون »

فإن قلتَ : إنّ في القرآنِ ما يدُلُّ على حصولِ الرؤية لهن وهو قوله تعالى: (إنّ أصحابَ الجنّةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكِهونَ . هُم وأزواجُهُم في ظِلالٍ على الأرائكِ متّكِئونَ . لهُم فيها فاكِهة ولهم ما يدّعون)[1] أي يَتطلّبون[2] ومن ذلكِ الرؤية . وقولُهُ (سَلام) إنّما يقعُ حالُ التّجلّي فهو شامل لهم ولأزواجهم .

قلتُ: أمّا قولكَ : (أي يَتطلبونَ ومنه الرؤية) فمِن أين لك أنّهن يَتطلبنَ الرؤيةَ ولَم يَرِد بذلكَ حديث ولا أثر ؟ وأيُّ مانِعٍ من أن يصرِفَ اللهُ تعالى عنهُنّ طلبَ الرؤيةِ ويُرضيهنّ بما هُنّ فيه كما صرَفَ عن أهل المنازلِ الدنيا[3] طلب ما فيه أهل المنازلَ العاليةِ وأرضاهم بما هم فيه ؟ !

---

(١) ٣٦/٥٥ : ٥٧ – يس –

(٢) قال الطبري في التفسير (١٥/٢٣) : ولهم ما يدعون : يقول ولهم فيها ما يتمنون . وذكر عن العرب أنها تقول : « ادع علي » أي تمن علي ما شئت . اهـ .

وقال ابن كثير في التفسير (٥٦٩/٦) : (ولهم ما يدعون) ، أي : مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ . اهـ .

ونقل القرطبي (٤٥/١٥) عن يحيى بن سلام قال : يدعون : يشتهون . وعن ابن عباس : يسألون . قال : والمعنى متقارب . اهـ .

(٣) بحاشية الأصل : (أي : السفلى) . اهـ .

وأمّا قولُكَ أنّ السلامَ إنّما يقعُ حالَ التجلي فهو شامل لهم ولأزواجهم فأقول في جوابه :

أولاً : هذه[1] جملة منقطعة عن الجُمَلِ التي قبلَها كما تَشهَدُ بذلكَ العربيةُ والبيانُ فلم يَلزم تعلُّقُها به التعلقَ الشامل للأزواج . وأقول : —

ثانياً : على تقديرِ الاتّصالِ والتعلُّقِ يُرَدُّ كل منهُما إلى ما ثبتَ له فيشترِكُ الرجالُ والأزواجُ فيما ثبتَ فيه الاشتراك ، وينفردُ الرجال بما لم يثبت فيه الاشتراك . وقد تقرَّرَ في الأصولِ أنّ دلالة الاقتران ليست حقيقيةً . وأقول :

ثالثاً : كأنّكَ أخذت قولك : (والسلام إنّما يقعُ حال التجلي) من الحديث الذي أخرجَهُ ابنُ ماجه[2] عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهلُ الجنةِ في نعيمِهِم إذ سطعَ لهم نور ، فرفَعوا رؤوسهُم فإذا الرّبُّ — جلا وعلا — قد أشرَفَ عليهم من فوقهِم فقال : « السّلامُ عليكم يا أهل الجنّة » . وذلك قولُهُ تعالى (سلام قَولاً مِن رب رحيم) قال : فينظر إليهم وينظرون[3] إليه فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النّعيم ما داموا ينظرونَ إليه حتّى يحتجبَ عنهُم ويبقى نورُهُ وبركَتُهُ عليهِم في ديارِهِم »[4] .

---

(١) بحاشية الأصل : (وهو قوله تعالى : سلام قولا من رب رحيم) . اهـ .

(٢) كذا ضبط في الأصل بسكون الهاء و (ابن ماجه) من الأعلام التي اختلف في ضبط آخرها أهي هاء أم تاء مربوطة فان كان الضبط من المصنف فيعني أنه يميل إلى الرأي الأول .

(٣) الأصل : (فينظرون إليه) ، والزيادة من السنن .

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن (ب- المقدمة رقم ١٨٤) عن جابر رضي الله عنه . وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في موضوعاته (٢٦٣/٣) وقال : هذا حديث موضوع على رسول الله (ص) ، ومدار طرقه كلها على الفضل بن عيسى الرقاشي . قال يحيى : كان رجل سوء . ثم في طريقه الأول والثاني عبد الله بن عبيد قال العقيلي : لا يعرف إلا به ، ولا يتابع عليه . اهـ .

. فإن كنتَ لستَ من أهلِ الحديثِ فلكَ نوعُ عذرٍ فإنّك رأيت حديثاً ففرحتَ به وظننتَ أنّك تستدلُّ به ، وإن كنت لستَ معذوراً كلَّ العذر لأنك قاصر على التبحر في الحديثِ والاطلاع على طُرُقهِ ومعرفةِ صحيحهِ من سقيمهِ ، وما اختلفت فيه الرواةُ بزيادةٍ ونقصٍ ، وتبديلِ لفظٍ بلفظٍ وغير ذلك ؛ ثم عن شروط الاستدلال ومُعمَّى لك النظر والجمعُ بينَ المتعارضات .

وإن كنتَ من أهلِ الحديث وجّهنا لك أولاً القولَ فنقول : هذا الحديثُ ضعيف الاسناد ، بل بالغَ ابنُ الجوزي رحمهُ الله تعالى فأورده في الموضوعات[1] . وثانيـاً : أنّه ليس بصريحٍ فيما ادّعَيْتَ ، بل ظاهرُهُ الاختصاص بالرجالِ حيث فيه : (السلام عليكم) بصيغةِ خطاب جمع الذكور ، وقال فيه : (فينظر إليهم وينظرون إليه) .. الخ فأتى بضمائر الذكور .

فإن ادّعيتَ التغليبَ قلنا لك : هذا مجاز وخلافُ الأصلِ ويحتاجُ إلى دليلٍ عليه .

وثالثاً إنّ هذا الحديث وقعَ فيه تغييرٌ من الرواةِ ونقص ألفاظ ، وقد رأينا بقيةَ طُرقهِ فوجدناه على نمط الأحاديث السابقة في رؤيةِ يومِ الجمعة من الاختصاص بالرجال .

فقد أخرج البيهقي في البعث وأبو نعيم في صفة الجنة عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ : بينما أهل الجنةِ في مجلسٍ لهم إذ سَطَعَ لهم نورٌ على باب الجنة ، فرَفَعوا رؤوسَهُم فإذا الربُّ تبارك وتعالى قد أشرف فقال : « يا أهل الجنة سلوني» .

---

(١) أنظر تعليقنا السابق .

قالوا : « نسألُكَ الرضى عنّا » . قال : « رضاي أحلكم داري وأنيلكم كرامتي هذا أوانُها فسَلوني » . قالوا : « نسألُكَ الزيادة » . فيؤتونَ بنجايبَ من ياقوتٍ فيركبونَها حتى تنتهي بهم إلى جنّة عدنٍ ، فتقول الملائكة : يا ربّنا قد جاء القوم فيقول جل جلاله : « مرحباً بالصادقينَ . مرحباً بالطائعينَ » . فيكشف لهم الحجابَ . فينظرونَ إلى وجهِ الله الكريم فيتمتعون بنورِ الرحمن حتى لا يبصِر بعضهم بعضاً ، ثم يقول جل جَلاله :

« ارجعوا إلى القُصورِ بالتُحَفِ » ، فيرجعون . ثم قال رسول الله ﷺ فذلك قولُ الله تعالى : « سلام قَوْلاً من رب رحيم » .

— وأخرجَ ابنُ المبارك في الزهد ، والآجُريّ في الرؤية عن جابر بن عبد الله رضيَ الله تعالى عنه قال : إذا (أ)دْخِلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ وأقيمَ عليهم بالكرامةِ جاءتهم خُيولٌ من ياقوتٍ فيركبون عليها ، فيأتونَ الجبارَ جل جلاله فإذا تجلى لهم خرُّوا سُجَّداً ، ثم يَرجعون إلى أهليهم فيَمُرُّون بكُثبانِ المِسكِ فيَبعث الله تعالى ريحاً على تلكَ الكُثبانِ فتُهيّجُها في وُجوهِهِم حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم وإنّهُم لَشُعْثٌ غُبر من المسك[1] .

وأخرجهُ الآجري من وجهٍ آخر عن جابر مرفوعاً ؛ فهذه بقيةُ طرُقِ حديثِ جابر رضي الله تعالى عنهُ دلّتْ على أنَّ روايةَ ابن ماجهْ وقع فيها اختصارٌ حصلَ به لَبْسٌ عليكَ في الإستدلالِ وطابقَ بقيةَ الأحاديث الواردةِ في الرؤية ولله الحمدُ .

(١) الزهد لابن المبارك (رقم ١٠٢٣) .

رؤية الصديقات ربهن

فإن قلتَ : كيف تسمحُ نفس بأنّ مثل مريمَ ، وفاطمة الزهراء عليهما السلام وأزواج النبي ﷺ ورضي عنهن لا يكون لهن في الرؤية نصيب ؟ !

قلتُ : يا مسكينُ ذلكَ من غباوتكَ . أونسيتَ ما ثبتَ لهؤلاءِ المذكورات ومَن جرى مجراهُنّ من بنات الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ وأزواجهم من الخصائصِ ؟ أفما كان عندك من الفقه ما يُرشدُكَ إلى أن تقولَ هؤلاء ونحوُهنَ لا يبعد اختصاصهن بالرؤية خصوصية لهن من دون سائرِ النساءِ ؟ !

وقد قال الله تبارك وتعالى : « يا نساءَ النّبيّ لستُنّ كأحدٍ منَ النّساءِ » [1] فتأخذ هذا النفي مطلقاً غيرَ مقيَّد فكما أنهن لسنَ كأحدٍ من النساءِ في الدنيا فكذلك لسنَ كأحدٍ من النساءِ في الآخرة ومِن مُبايَنتهن لسائرِ النساءِ أن يَرَيْنَ ربّهُنّ دون سائر النساءِ .

---

(١) (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً) ٣٢ – الأحزاب .

وأقول زيادةً على ذلك: لا يبعد أن تكونَ الصِّدِّيقاتُ من هذه الأمةِ كرابعةَ العدويةِ[1] ومَن جرى مجراها لهُنَّ حظ في الرؤية امتزنَ به على عامّةِ النساء لما كن عليه في الدنيا من قوة اليقين والمعرفةِ بالله تعالى والمواظبةِ على طاعاته والإعراضِ عن ملاذِّ الدنيا وشهواتها حتى أنَّ الواحدةَ منهن قد كانت تموت في الدنيا كل يوم سبعينَ مَوتَةً فمثل هؤلاءِ يقرب تخصيصهنَّ بالرؤية واجتباؤهنَّ بها وقد أوتيَ رجال هؤلاءِ الطائفةَ ما لم يُؤتَه غيرهم وهي الطبقة الثالثة ، فقد أخرج أبو نعيم في الحليةَ عن أبي يزيدَ البَسطامي[2] رحمه الله تعالى قال : « إنَّ لله تعالى خَواصَّ من عبادِهِ لو حَجَبَهم في الجنة عن رؤيتهِ طرفةَ عينٍ لاستغاثوا كما يستغيث أهلَ النار بالخروج »[3] .

---

(١) رابعة العدوية : هي رابعة بنت إسماعيل العدوية أم الخير مولاة آل عتيك ، البصرية : صالحة مشهورة ، من أهل البصرة ومولدها بها ، لها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر من كلامها : « اكتموا حسناتكم كما تكتموا سيئاتكم » توفيت بالقدس ، قال ابن خلكان : « وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه ، على رأس جبل يسمى الطور » . وقال : وفاتها سنة ١٣٥ هـ ، وقيل سنة ١٨٠ هـ (— ٧٥٢ م) .

(٢) هو طيفور بن عيسى البسطامي ، أبو يزيد ، ويقال بايزيد ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر ولد سنة ١٨٨ هـ (—٨٠٤ م) ، وتوفي ببسطام سنة (٢٦١ هـ — ٨٧٥ م) .

(٣) أورد هذه المقالة أبو نعيم في الحلية (١٠/٣٣) بلفظ : (... لاستغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار) .

قاعدة

تنبيه : لم يقع في القرآن العظيم كلم تعلق بصيغ الذكور وأريد اشتراك النساء معهم إلا صرح في آية ما أو حديث بذلك الاشتراك . وكذلك ما وقع من الوعد بالمغفرة ودخول الجنة كقوله تعالى : (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) [1] .

---

(١) قال شيخ الاسلام ابن تيمية (أنظر مجموع الفتاوى ٦/٤٣٧ – ٤٣٨) : إعلم أن الناس قد اختلفوا في صيغ جمع المذكر – مظهره ومضمره – مثل : المؤمنين ، والأبرار ، وهو هل يدخل النساء في مطلق اللفظ أو لا يدخلون إلا بدليل . على قولين :

(أشهرها) : عند أصحابنا ومن وافقهم أنهم يدخلون بناء على أن لغة العرب إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلبوا المذكر ، وقد عهدنا من الشارع في خطابه أنه يعم القسمين ويدخل النساء بطريق التغليب ، وحاصله أن هذه الجموع تستعملها العرب تارة في الذكور المجردين ، وتارة في الإناث ، وقد عهدنا من الشارع أن خطابه المطلق يجري على النمط الثاني ، وقولنا المطلق احتراز من المقيد مثل قوله : (إن المؤمنين والمؤمنات) ومن هؤلاء من يدعي أن مطلق اللفظ في اللغة يشتمل القسمين .

والقول الثاني : أنهن لا يدخلن إلا بدليل ، ثم لا خلاف بين الفريقين أن آيات « الأحكام » ، و « الوعد » ، و « الوعيد » التي في القرآن تشمل الفريقين وإن كانت بصيغة المذكر . فمن هؤلاء من يقول : دخلوا فيه لأن الشرع استعمل اللفظ فيها ، وإن كان اللفظ المطلق لا يشمله ، وهذا يرجع إلى القول الأول . ومنهم من يقول : دخلوا لأنا علمنا من الدين استواء الفريقين في الأحكام فدخلوا كما تدخل نحن فيما خوطب به الرسول وكما تدخل سائر الأمة فيما خوطب به الواحد منها وإن كانت صيغة اللفظ لا تشمل غير المخاطب .

وحقيقة هذا القول أن اللفظ الخاص يستعمل عاماً « حقيقة عرفية » إما خاصة وإما عامة . وربما سماه بعضهم قياساً جلياً ينتقص حكم من خالفه ، وأكثرهم لا يسمونه قياساً بل قد علم استواء المخاطب وغيره فنحن نفهم من الخطاب له الخطاب الباقين ، حتى لو فرض انتفاء الخطاب في حقه لمعنى يخصه لم ينتقص انتفاء الخطاب في حق غيره ، فالقياس تعديه الحكم ، وهنا لم يعد الحكم وإنما ثبت الحكم في حق الجميع ثبوتاً واحداً بل هو مشبه بتعدية الخطاب بالحكم لا نفس الحكم . الخ قوله فانه عزيز .

وقوله تعالى : « إن المسلمينَ والمسلمات ... » الآية . فهذه الآية ونحوها صرّحتْ بإلحاقِ النساء بالرجالِ فيما خُوطبَ به الرجال ، ولمّا ذُكِرَتْ آية النّظرِ إلى وجه الله تعالى الكريم وهي قوله تعالى للذين أحسنوا الحُسنى وزيادة ذُكِرَت بصيغة جمع الذكور ولم يقع في آيةٍ أخرى ما ضمّ الإناثَ إليهم ولا صرّحَ في شيءٍ من الأحاديثِ بذلك فكان ذلك دليلاً على عَدَمِ دخولهنّ فيها .

ونظير هذا الاستنباطِ الذي استنبطتُه ما ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره أنّه قد يُستنبط من السكوت كما يُستنبط من الذّكْرِ ، واستدلوا بذلك على أنّ القرآن غير مخلوقٍ فإنّ الله سبحانه وتعالى ذكره في عدة مواضع من كتابه العزيز ولم يذْكر في واحدٍ منها أنه مخلوق فتأمل[1] .

(تنبيه) : إنّما ألجأنا إلى هذا الذي قررناه عدم ثبوت نصّ مصرّحٍ برؤيةِ النساءِ ، والمقام مقام توقّفٍ فإن ثبتَ نص بذلك قلنا بسه على الراسِ والعين .

وقد قلَبَ بعضهُم قالبَ الدليل فقال : أدلة الرؤيةِ عامّة فتحتاج إلى مخصّصٍ وهو حديث مصرّح بإخراجِ النساءِ من العموم .

وهذا القلب غير مسموع ، بل الأصلُ الذي دلّ عليه هذا الدّليل منع الرؤية عن كلّ أحدٍ لقوله (لا تُدرِكُهُ الأبصار) خُصّ من

---

(١) قال المعتصم للامام أحمد بن حنبل في المحنة : ما تقول في القرآن . فقال : كلام الله قديم غير مخلوق ، قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) . فقال له : عندك حجة غير هذا . فقال : نعم ، قول الله تعالى : (الرحمن علم القرآن) ولم يقل : الرحمن خلق القرآن ، وقوله تعالى (يس والقرآن الحكيم) ولم يقل : يس والقرآن المخلوق . اهـ . (أنظر المنهج الأحمد ١/٢٢—٢٣) .

هذا العموم المؤمنون بالآية والأحاديث الواردة بصيغة جمع المذكور فبقي مَن عَداهم على أصل المنع . وهــذا هو الذي قرَّره الشيخ عزالدين بن عبدالسلام في استدلاله على أن الملائكة لا يرون ربهم كما نقلناه عنه أولاً .

وكيف يُستبعد امتياز الرجال على النساء بالرؤية وقد امتازوا عليهن بواجبات وتكاليفَ ومشاق كالجهاد ، والقضا ، والجمعة ، والجماعة ، والأذان ، والخُطبة ، والصلاة على الجنازة ، وحَملها ، والاعتكاف ، والرحَل في الطواف ، والعَدو في السعي ، والمسابقة ، وحمل الدية على العواقل ، وتحريم الحلي والحرير ؟ !

الفرق بين العبد والمرأة في الرؤية

فإن قال قائل : إنّ العبد يُشارك المرأة في غالبِ ما ذُكِر .

قلنا : الفرق بين العبدِ والمرأةِ من ثلاثةِ أوجهٍ :

الأول : أنّ العبدَ يمكنه أن يباشرَ بعض ذلك — وإن لم يتوجه عليه الوجوب — كالجهاد ، والأذان ، والخطبة ، والمرأة لا يمكنها مباشرة ذلك بحالٍ .

الثاني : أنّ العبدَ مشغول بخدمةِ سيِّدهِ فشُغلَ عن تكليفٍ واجب بتكليفٍ واجبٍ ، ولهذا كان له أجرانِ بخلافِ المرأة .

الثالث : أنّ العبدَ بصددِ أن يُعتقَ ويساوي الأحرار في تلك التكاليف ، والمرأة لا يُتصوَّر فيها ذلك ، ويُترك مَن مات مِن العبيد قبل العِتْق كمن مات من الأحرار قبل البُلوغ وقبل مباشرة شيء من الأعمال فإنّ الرؤية ثابتة لهم بلا شكٍ .

وهناك فرقٌ رابعٌ وهو أنّ الرِّقّ يزول بالموتِ ، وأما الأنوثة المقتضية للسَّترِ فمستمرة[1] .

---

(١) تقدم قول ابن تيمية رحمه الله أن النيرة في الجنة ودليله على ذلك ، وقد قال بذلك أيضاً ابن القيم الجوزية رحمه الله في (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) فانظره هناك إن شئت .

الفرق بين الكفّار وبين المؤمنات في مسألة الرؤية

(تنبيه) : فإن قال قائلٌ : إنّ اللهَ تبارك وتعالى قال في حق الكفارِ (كلاّ إنّهُم عَن ربّهِم يومئذٍ لمحجُوبون)[1] ، فكيف تجعل النّساء المؤمنات مساوياتٍ للكُفّارِ في الحَجْبِ عن الرؤية ؟

قلنا : قد قرّر الشيخ عزُّ الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى في الملائكة الذين هُم أشرف مِن النّساءِ أنّهُم لا يرونَ ربّهم ولم يُبالِ بأن يردَ عليه مثل هذا ، مع أنّ الملائكةَ أشرف من النساءِ وأفضل وأجَلُّ وأعلا مقاماً وأطوع لله عز وجل وأعْبَدُ .

فإن قلتَ : هذا جوابٌ جَدَليٌّ ، وأريد ما هو أصدَع من ذلك . قلت : التفرقة بين الحَجْبَيْن واضحةٌ فإنّ حَجْبَ الكُفّارِ حَجْب حِرمانٍ ، وحَجْبَ النساءٌ حَجب سَترٍ وصيانةٍ

(١) ٨٣/١٥ – المطففين .

أثران بصيغة العموم يشملان النساء

فإن قلتَ : قد قرّرتَ أنّ الأحاديثَ الواردة في الرؤية كلها بصيغة جمع الذكور وأنه ليس فيها شيءٌ بصيغة عموم يشمل النساءَ ثم ذكرتَ أنّها قسمان قسمٌ صريحٌ في الاختصاص بالرجال وقسمٌ ظاهر فقط من حيث الصيغة فما ثَمّ قط حديثٌ بصيغة عموم بحيث يشمل النساءَ .

قلت : أما حديثٌ مرفوعٌ إلى النبيِّ ﷺ في ذلك فلم أقِفْ عليه ، ولكن وقفت على أثرَيْن أحدهما موقوفٌ والآخر مقطوع . فأما الموقوف :

ــ فأخرج الآجري في كتاب الرؤية : عن عِكرمةَ رضي الله تعالى عنه قال : قيل لابنِ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما : « أكُلُّ مَن دخلَ الجنّةَ يرى الله عز وجل » ؟ فقال : « نعم » . وهذا الأثر جوابُه من وجهين : أحدهُما : أنّ في إسناده إبراهيمَ بنَ الحكمَ بن إبّان عن أبيه ، وابراهيم قال فيه النّسائي : « متروكَ الحديث » ، وقال البخاري : « سكتوا عنه » ، وقال ابن مُعينٍ ليس بشيء » . وقال الامام أحمد رضي الله تعالى عنه : « في سبيل الله دراهم أنفقناها إلى عَدَن[1] إلى ابراهيمَ ابن الحكم » . وقال الذهبيُّ : تركوه ، وقَلّ من ماشاه[2] ، روى عن أبيهِ مُرسَلاتٍ وَوَصَلها[3] .

(١) هامش الأصل : (بلدة باليمن ، وهي بلدة إبراهيم بن الحكم) .

(٢) في الميزان : (مشاه) .

(٣) أنظر ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٢٧) ــ التاريخ ليحيى بن معين (رقم ٢٠٤) .

وأبوه أيضاً متكلَّمٌ فيه : قال ابن المبارك ــ رحمه الله تعالى ــ : « الحكمَ بن أبانَ ، وحسام بن صَكّ وأيوب بن سُوَيد : روايتُهم إرْمِ بها في وجوهِهِم »[1] .

الثـــاني : أنَّ هـــذا العُموم يمكن حملُه على الرِّجالِ ليوافقَ الأحاديث السابقة .

وأما المقطوع : فأخرجَ البيْهقي في كتاب الرؤية من طريق عمرو ابن عبيد عن الحسن قال : « لا يَبقى أحد مِن خلقِهِ عز وجل إلا رآه يومَ القيامة ، ثم يحجَب عنه الكافرونَ ويراه المؤمنون ، فلذلك قوله تعالى : « كلا إنّهُم عَن ربّهِم يومئذٍ لمحجوبون » [2] .

وأخرج من هذا الوجه أيضاً قال : « إذا كانَ يوم القيامة ، بَرَزَ الرَّب تبارك وتعالى فتراه الخلائق وتحجب الكفار فلا يَرونه أبداً ، وهو قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون) .

والجواب عن هذا الأثر منْ وجوهٍ أربعة : ــ

الأول ــ أنَّ في إسْنادِهِ عَمرو بنَ عبيد وهو غير مَرْضيٌّ عند

---

(١) قال الذهبي في الميزان ١/٥٦٩ :
وثقه ابن معين ، والنسائي . وقال أحمد العجلي : ثقة صاحب سنة كان يقف في البحر إلى ركبتيه قال : يذكر الله مع حيتان البحر ودوابه حتى يصبح . وروى سفيان بن عبد الملك عن ابن المبارك قال : الحكم بن أبان و... إرم بهؤلاء . اهـ .
وقال في تقريب التهذيب : (١/١٩١) صدوق عابد . له أوهام . من السادسة اهـ
(٢) أخرج هذا الأثر : الطبري في التفسير (٣٠/٦٤) عن الحسن رضي الله عنه موقوفاً عليه .

أهل الحديث لاعتزاله[1] .

الثاني ـــ أنَّ هذا من قولِ الحسن لم يُصرح برفعه .

الثالث ـــ على تقدير أنَّ حُكمَهُ حُكم الرَّفع فهو من مراسيل الحسن ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح لا يحتجُّ بها .

الرابع : أنَّ أثرَه هذا : في الرؤية الحاصلة في الموقِف قبل دخول الجنة كما هو ظاهرٌ وليستْ هي محلّ النِّزاع ، إنّما الكلام في الرؤيــةِ الحاصلةِ في الجنة كل جُمعةٍ أو بُكرةٍ وعَشِيّاً ، ولا شك أنَّ أحاديثَ الرؤية في الموقف ظاهرة العمومَ لكلِّ أحدٍ من المسلمينَ محسنيهم ومُسيئيهم ودخول النساءِ فيهم واضحٌ .

(١) قال ابن حبان في المجروحين (٢/٦٩) كان من العباد الخشن وأهل الورع الدقيق ممن جالس الحسن سنين كثيرة ، ثم أحدث ما أحدث من البدع واعتزل مجلس الحسن ومعه جماعة فسموا المعتزلة وكان داعية إلى الاعتزال ويشتم أصحاب رسول الله (ص) ويكذب مع ذلك في الحديث توهماً لا تعمداً اهـ ثم ذكر عنه كلاماً مطولا .

وقال الذهبي (الميزان ٣/٢٧٣) : قال ابن معين لا يكتب حديثه ، وقال النسائي متروك الحديث ، وقال أيوب ويونس : يكذب ... الخ .

تذييل في رؤية الملائكة ربها سبحانه وتعالى

وحين وصلت في التقرير إلى هنا تأملت الحديثين الواردين في رؤية الملائكة — عليهم السلام — ربَّهم فوجدتُهما مُصرِّحَين بأنّ ذلك حالَ التجلي في الموقف ، فلعل ذلك مختصٌ به ، ويكون قول الشيخ عز الدين ابن عبد السلام أنّ الملائكة لا يرون ربهم إنما أراد به بعد الاستقرار في الجنة لا في الموقف ، وحاصله فلا ينهض الاحتجاج عليه بالحديثين المذكورين ، على أنّي قد رأيت لحديثِ الرؤيةِ في الموقف مخصّصاً .

فقد أخرجَ ابن عساكرَ عن يزيد بن أبي مالك الدمشقي[1] قال : « ليس من عبدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر إلاّ وهُو ينظُر إلى الله تعالى يومَ القيامةِ عياناً إلا الحاكم يحكم بجورٍ فإنّه لا يحل له أن ينظُرَ إلى اللهِ تعالى يوم القيامة وهو أعمى » .

---

(١) اسم أبيه عبد الرحمن الدمشقي القاضي ، ويزيد بن أبي مالك من أئمة التابعين روى عن أنس ، وسعيد بن المسيب وأبي سعيد الخولاني وغيرهم . قال الذهبي : وهو صاحب تدليس وإرسال عمن لم يدرك . قال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا أعلم بالقضاء من يزيد بن أبي مالك لا مكحول ولا غيره .

قال يعقوب الفسوي : يزيد بن أبي مالك فيه لين . وقال أبو حاتم وغيره : ثقة . (ميزان الاعتدال ٤/٤٣٩) وقد ذكره ابن حبان في الثقات (٥/٥٤٢) .

وشاهده : ما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي مريم[1] رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : «مَن وَلِيَ من أمور المسلمين شيئاً فاحتجبَ دون خَلَّتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجبَ الله تعالى عنه يومَ القيامة».[2]

ــ وأخرج أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أيُّما والد جحد ولده احتجب الله تعالى عنه يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين[3]» ثم قال الدارمي : ففي هذا الحديث دليلٌ على أنّه يَحتجب مِن بعض خلقه ولا يحتجب من بعض.

---

(١) أبو مريم : هو أحد صحابة الحبيب (ص) قدم على معاوية فقال: «ما أنعمنا بك يا أبا مريم . روى عنه عبادة بن نسي ، والقاسم بن مُخيمرة ، والزبير بن عبد الله ، وأبو المطل .
وقال ابن عساكر : قدم أبو مريم غازياً فذكر قصته مع معاوية وزاد فقال معاوية: ادعو إلي سعداً . يعني حاجبه . فقال معاوية : اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنق سعد: من جاء يستأذن علي فأذن له يقضي الله على لساني ما شاء» .
(أنظر الإصابة ٤/١٧٩ ــ أسد الغابة ٦/٢٨٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن : الامارة (رقم ٢٩٤٨) ، وأحمد في المسند (٥/٣٢٩) ، والحاكم في المستدرك (٤/٩٣) من أبي مريم رضي الله عنه ، وقال الحاكم : (إسناده شامي صحيح) ووافقه الذهبي في التلخيص .

(٣) أخرجه أبو داود : الطلاق (رقم ٢٢٦٣) ، والنسائي: الطلاق (٦/١٧٩) ، وابن ماجه : الفرائض (رقم ٢٧٤٣) ، والدارمي : النكاح (رقم ٢٢٤٤) ، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٣٣٠) .
قال ابن حجر في الفتح ١٢/٥٤ : (وفي سنده عبد الله بن يوسف ــ حجازي ــ ما روى عنه سوى يزيد بن الهاد أ هـ .
وهو هنا من رواية ابن الهاد عن عبد الله بن يوسف .

قلت : وهذا عندي مخصوص بحال التجلي في الموقف ، أما بعد حسابه وإدخاله الجنة فإنه لا يحتجب عنه فيها .

ثم رأيت جماعة من العلماء صرّحوا بأن الجهمية المنكرين الرؤية لا يرون ربهم وإن دخلوا الجنة فيكونون مختصين مخصوصين من عموم من يرى .

أخرج اللالكائي في السنّة عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون (١) قال : (جحدت الجهمية رؤيته — جلّ وعزّ — في الآخرة وهي أفضل كرامة الله تعالى التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه الكريم ونظرته إياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثواباً ، المصدقين برؤيته جل وعز دون الجاحدين لها وهم عن ربهم يومئذ محجوبون لا يرونه ، كما زعموا أنه لا يُرى) . وأخرج أيضاً عن الاوزاعي قال : (إنّي لأرجو أن يحجبَ الله تعالى جهْماً وأصحابَه عن رؤيته يوم القيامة كما جحدوها) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية ومنه نقلت : (روى ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله تعالى عنه قال : إذا استقرّ أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ

(١) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي مولاهم المدني الفقيه حدث عن الزهري وعبد الله بن دينار ووهب بن كيسان وجماعة .

قال الذهبي كان من العلماء الربانيين نظر مرة إلى شيء من كلام جهم فقال : « هذا علم بلا بناء ، وصفة بلا معنى » . وقال ابن وهب : حججت فسمع من ينادي : لا يفتي الناس إلا مالك وعبد العزيز بن أبي سلمة . وتوفي سنة ١٦٤ هـ .

(تذكرة الحفاظ ص ٢٢٢) .

يا أهل الجنة : « إنّ الله تعالى قد أذِن لكم في الزيارة » . فيكشف الحجابُ فينظرون إليه تعالى . ثم قال: وإنّا لنرجوا أن يكون جَهْم وشيعتُه ممن لا ينظرون إلى ربهم ويُحجَبون عن الله تعالى) .

تَذنيبٌ : لما تأملت الحديثين الواردين في الملائكة عليهم السلام ورأيتهما مختصّين بحال التجلي في الموقف كدت أرجع إلى مُوافقة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام على مقالته ثم راجعت كتاب « الإبانة في أصول الديانة » تأليف إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنه فوجدته قال فيه ما نصه : (أفضَل للذّات الجنة رؤية الله عز وجل ثم رؤية نبيّه محمد ﷺ فلذلك لم يحرم الله تعالى أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين ، وجماعة المؤمنين ، والصديقين من النظر إلى وجهه الكريم عز وجل)[1] فهذا نصٌ صريح من الامام الأشعري رحمه الله تعالى بأنّ الملائكة عليهم السلام يَرون ربهم في الجنة وهو عندي مُقدّمٌ على استنباط الشيخ عز الدين ابن عبد السلام .

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري تحقيق د . فوقية حسين محمود ط . دار الأنصار سنة ١٣٩٧ (الطبعة الأولى) : ص ٥٤ — ٥٥ .

(الأحسن عدم الجزم في هذه المسألة بشيء)

تنبيه : جميع هذا التقرير الذي قررته هو مقتضى النظر وما دلّت عليه الأدلة ، وقد قررته وأنا غير منشرح الصدر بذلك ، فإن الذي كان يتبادر إلى الأذهان إنّما هو خلافُهُ وكنتُ أوَدّ لو وجدت حديثاً مصرّحاً برؤية النساء ربّهن فكنت أصير اليه وأسارع إلى القول به ولو كان ضعيفَ الإسنادِ فكنتُ أستأنسُ به ، ولكن لم أقف إلى الآن على حديث مُصرح بذلك والمقام مقام توقف والإقدام فيه ليس بالهيّنِ والسكوتُ لا يُكتفى به في مثل ذلك إثباتاً .

وقد ورد أن أم سلمة رضي الله تعالى عنها لم تكتفِ بالسكوت في مثل ذلك وقالت : « يا رسول الله إنّي لا أسمعُ ذِكْرَ النساءِ في الهجرة بشيءٍ » حتى نزل قوله تعالى : (إني لا أضيع عملَ عامل منكم من ذكر أو أنثى ..) الآية[1] .

والأحبّ إليّ في هذه المسألة هو الوقفُ عن الجزم فيها بشيء ، فلا نصرح بإثبات الرؤية لهن ولا بنفيها عنهن ، ونكِلُ الأمرَ في ذلك إلى اللهِ تعالى حتى يوجدَ حديثٌ صريح في الإثبات يُحتَجّ بمثله .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤١٦/٢) بسنده عن أم سلمة قالت : قلت يا رسول الله : يذكر الرجال ولا يذكر النساء ! فأنزل الله عز وجل (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) الآية ، وأنزل (أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) .
وقال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . ووافقه الذهبي . وأخرجه أحمد في المسند (٣٠١/٦) أيضاً .

إثبات رؤية المؤمنات لله سبحانه وتعالى في الموقف

تنبيه : جميع ما قررناه إنما هو بالنسبة للرؤية في الجنة ، أمّا في الموقف فإنّهن يرين ربهن عز وجل كما تقدمت الإشارة إليه .

وقد قال ابن القيّم في كتاب حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح[1] : (دلّت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أنّ المنافقين يرونه عز وجل في عرَصات القيامة) . قال : (وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السُنة : أحدُها أنه لا يراه عز وجل إلا المؤمنون، والثاني أنه يراه عز وجل جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (أبداً ليكون ذلك عليهم حسْرة وندامة[2]) ، والثالث أنّه يراه المنافقون دون الكفار .

والأقوال الثلاثة في مذهب الامام أحمد رضي الله تعالى عنه وهي لأصحابه هي) .

ثم راجعتُ كتابَ البداية والنهاية للحافظ عماد الدين ابن كثير فوجدته

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم الجوزية ص ١٩٨ (طبع : مكتبة المتنبي بالقاهرة) .

(٢) ما بين القوسين ليس في المطبوعة .

قال فيه ما نصُّه[1] : (في الصحيحين عن جرير مرفوعاً عند ذكر رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة كما يرونَ الشمسَ والقمر ثم بعد ذلك قال : « فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمس وقبل الغروب فافعلوا » ، ثم قرأ : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)[2] ، وفي صحيح البخاري : « إنكم سترونَ ربكم عياناً » ، فأرشد هذا السياقُ[3] إلى أنَّ الرؤيةَ تقعُ في مثل أوقات العبادة ، فكأنَّ المبرِّزينَ يرون اللهُ عز وجل في مثل طرفي النهار غدوةً وعشيا .

وهذا مقامٌ عالٍ حتى أنهم يرَوْنَ ربَّهم عز وجل وهُم على أرائكهم وسررهم كما يُرَى القمر في الدنيا في مثل هذه الأحوال ، وهؤلاء يَرونه تعالى أيضاً في المجمعَ الأعمِّ والأشمل وهو في مثل أيام الجُمَع حيث يجتمع أهلُ الجنّةِ في وادٍ أفيَحَ أيْ متسعٍ من مسلكٍ أبيضَ فيجلسونَ فيه على قَدْرِ منازلهم ، فمنهُم من يجلسُ على منابرَ من نور ، ومنهم من يجلسُ على منابرَ من ذهبٍ ، وغيرِ ذلك من أنواع الجواهر وغيرها ، ثم تُفاضُ عليهم الخِلَع ، وتوضع بينَ أيديهم الموائد بأنواع المطاعم

---

(١) نهاية البداية والنهاية (٢/ ٢٨٣ — ٢٨٤) ط . المكتبة القيمة بالقاهرة — تصحيح إسماعيل الأنصاري .

(٢) زيادة من نهاية البداية والنهاية . وحديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه لفظه : قال : كنا جلوساً عند النبي (ص) إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : « إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبـل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا » . أخرجه البخاري : التوحيد (رقم ٧٤٣٤) — ومسلم : المساجد (رقم ٢١١) .

(٣) صحيح البخاري : التوحيد (رقم ٧٤٣٥) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه .

(٤) نهاية البداية : البيان .

والأشربة : مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ثم يطيّبون بأنواع الطيب كذلك ويباشرون من أنواع الإكرام ما لا يخطر على بال أحدٍ قبل ذلك .

ثمّ يتجلى لهم الحقُّ سبحانه وتعالى ويخاطبُهُم واحداً واحداً كما دلّت على ذلك الأحاديث كما سيأتي إيرادُها قريباً إن شاءَ الله تعالى .

وقد حكَى بعضُ العلماءِ خلافاً في النساءِ هل يرينَ اللهَ عز وجل كما يراه الرجال ؟ فقيل : لا ، لأنهنّ مقصورات في الخيام . وقيل : بل لا مانع من رؤيته عز وجل في الخيام وغيرها . و (قد) قال تعالى : (إنّ الأبرار لفي نعيمٍ على الأرائكِ ينظرون) . وقال تعالى : (هم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائكِ متكئونَ) ، وقال رسول اللهِ ﷺ (إنكُم سترَوْنَ ربكُم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طلوع الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا » ، وهذا عامٌ في الرجال والنساء والله أعلم .

وقال بعض العلماءِ[1] قولاً ثالثاً وهو أنهن يَرَيْنَ اللهَ عز وجل في مثل أيام الأعياد ، فإنّه سبحانه وتعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد تجلياً عاماً لأهل الجنة فتراه النساءُ في مثل هذه الحال دون غيرها ، وهذا القول يحتاجُ إلى دليلٍ خاصٍ عليه[2] والله أعلم) ، هذا كله كلام ابن كثير .

---

(١) نهاية البداية : العلماء .

(٢) زيادة من بداية النهاية .

تنبيهٌ : وبعد أن قرّرتُ هذه المعاني استنباطاً من غير أن أقِفَ عليها لأحد ، وجدت الحافظ ابنَ رجبٍ ألَمَّ بشيء من ذلك فقال في كتابه « اللطائف » ما نصه : (كلُّ يومٍ كان عيداً للمسلمينَ في الدنيا ، فإنّه عيدٌ لهم في الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم عز وجل ، ويتجلّى لهم فيه ، ويوم الجمعة يُدعى في الجنةِ يومَ المَزيدِ ويوما الفِطر والنحر يجتمعُ أهلُ الجنة فيهما للزيارة ؛ وروى أنه يُشاركُ النساءُ الرجالَ فيهما كما كنَّ يَشهدْنَ العيدَينِ معَ الرجال دونَ الجمعة ، فهذا لِعامّةِ أهلِ الجنّة ، وأما خواصُّهُم فكُلُّ يوم لهم عيدٌ يرون ربهم بكرة وعَشِياً .
انتهى . وهذا أحدُ المعاني التي فهمتها ، فلِلّه الحمدُ والمنة .

دليل الرؤية يوم العيد

فإن قلتَ : قد دلّت الأحاديث على أن أهل الجنة يزورون ربهم ويرونه يوم الجمعة ، فأين الدليل على حصول ذلك في يوم العيد ؟ قلت : أخرج الآجري عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه قال : « ما نظَرَ اللهُ تعالى إلى الجنةِ قطّ إلاّ قال لها : « طيبي لأهلكِ » ، فزادت أضعافاً على ما كانت عليه ، حتى يأتيها أهلُها . وما من يومٍ كان لهم عيداً إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرُزُ لهمُ الربُّ — جل جلاله — فينظرونَ إليه وتَسْفي عليهم الريحُ المسكَ ، ولا يَسألون ربهم عز وجل شيئاً إلاّ أعطاهم حتى يرجعونَ » .

وأخرج أيضاً عن ابن سلامٍ عن بكر بن عبد الله المزني[1] رضي الله تعالى عنه قال : « إنّ أهلَ الجنةِ يزورونَ ربهم عز وجل في مقدار كل عيدٍ لهم فيأتونَ ربَّ العزّة في حُلل خضر ووجوه مشرقةٍ وأساور من ذهبٍ مكللةٍ بالدُّرّ والزمرد ، عليهم أكاليل الذهَب ، ويركبون نجائبهم ، ويستأذنون على ربهم عز وجل فيأمُرُ لهم بالكرامة » .

---

(1) بكر بن عبد الله بن عمرو المزني البصري أبو عبد الله ، روى عن أنس بن مالك وابن عباس ، وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم وقال ابن سعد : كان ثقة مأموناً حجة ، وكان فقيهاً توفي سنة ١٠٦ هـ .

قال في القواعد الصغرى[1] : (وقد أحسنَ اللهُ تعالى إلى النبيين وأفاضلَ المؤمنين بالمعارف والطاعات والأحوال والإذعان ونعيم الجنان ، ورضى الرحمن ، والنظر إلى الديّانَ ، مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأبيد الرضوان ، ولم يثبت للملائكة عليهم السلام مثل ذلك . ولا شك أنّ أجساد الملائكة عليهم السلام أفضل من أجساد البشر ، وأما أرواحهم فإن كانت أعرفَ بالله تعالى وأكمل أحوالاً من أرواح البشر فهم أفضل من البشر وإن استوَت الأرواحُ في ذلك فقد فضلت الملائكةُ البشرَ بالأجساد فإنّ أجسادَهم من نورٍ وأجسادُ البشر من لحم وعظمٍ ودمٍ . وفضَلَ البشرُ والملائكةُ بما ذكرنا من نعيم الجنان ، وقرب الديّان ، ورضاه ، وتسليمه وتقريبه ، والنظر إلى وجهه الكريم ، وإن فضلهم البشرُ في المعارف والأحوال والطاعاتِ كانوا بذلك أفضل منهم . وبما ذكرناه مما وُعِدوا به في الجنانَ . ولا شك أن للبَشر طاعاتٍ لم يثبت مثلها للملائكة عليهم السلام كالجهاد ، والصبر ومجاهدة الهوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الرسالات والصبر على البلايا ، والمحن والرزايا ، وتحمل المشاق في العبَادات لأجل رضاء الله عز وجل وقد ثبت أن المؤمنين من البشر يرون ربهم عز وجل ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ، ولم يثبت مثل هذا للملائكة عليهم السلام ، وإن كانوا يسبحون الليل والنهار لا يفتُرون . فرُبَّ عملٍ يسير أفضل من تسبيحٍ كثير وكم من نائم أفضل من قائم . وقد قال الله تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أولئك هم خير البرية » أي خيرُ الخليقة والملائكة عليهم السلام من الخليقة .

---

(١) أكام المرجان ص ٦١ — ٦٢ .

ولا يقال : الملائكة من جملة الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن هذا اللفظ مخصوص بمن آمن من البشر في عُرْفِ الشرع فلا يندرج فيه الملائكةُ لعرف الاستعمال .

فإن قيل : لعل الملائكة يرون ربهم كما يراه الأبرار .

قلتُ : يمنعُ منه عمومُ قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) وقد استثنى منه المؤمنون فبقيَ على عمومه في الملائكة لا الأبرار)[1] .

ثم رأيتُ العلاّمة البُلقيني قد قال في مجموعٍ له ما نصه: (واعلم أنّ مؤمني الجن إذا تقرر أن لهمُ الثوابَ وأنهم يدخلونَ الجنة فهل تحصل لهم رؤية الربّ جل جلاله ؟ لم أقف على كلام أحدٍ من العلماءِ تعرّض لهذه المسألة ولم تثبت الرؤية إلا للبشر وجعلت الآية الدالةُ على حصول الرؤية للبشر مخصِّصة لقوله تعالى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصارَ » وإن الله سبحانه وتعالى قد خص البشرَ بخصائص وأحسنَ إليهم من بين سائر الخلائق كافة ، وجعل فيهم الأفاضلَ من الأنبياءِ والمرسلين وأتباعهم من العلماء الذين ورثوا علومهم ورفع درجاتهم في الدنيا والآخرة ورزقهم نعيمَ الجنان والرضوان والنظر إلى الرحمن وسماع كلامه ولم يثبت للملائكة عليهم السلام ذلك » .

---

(١) انتهى كلام العز ابن عبدالسلام .

ثم ساقَ كلامَ الشيخ عز الدين بن عبد السلام برُمته ثم قال بعده ما نصه : « وإذا كان ذلك في الملائكة فهو في الجنّ بطريق الأوْلى » . ثم قال : وقد يُتوقّفُ في الأولوية لأنّ الإيمانَ في عرْفِ الشّرعِ يشمل مؤمني الثقلين ونعيمُ الجنان ثابتٌ للملائكة عليهم السلام على معنًى دخولها والنظر إلى ما فيها وأما ما يتعلق بالمأكل والمشرب فليس لهم ومقاماتُ الملائكة في الآخرة لا يطلع عليها إلاّ الله تعالى لأنهم رؤوس الصالحين والصحابةُ رضي الله تعالى عنهم كانوا يقولون في تشهدِهم : « السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل » . فقال لهم النبي ﷺ : (قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحينَ . فإنكم إذا قلتم ذلك أصابت كل عبدٍ صالحٍ في السماءِ والأرض) .[1]

والملائكةُ أيضاً ينالهم رِضى الرحمن ولا يخص البشر ، بل كل مَن خَشِيَ الله تعالى — (رضي الله تعالى عنه بدليل قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)[2] .

---

(١) متفق عليه . أخرجه البخاري : الاستئذان (رقم ٦٢٣٠) عن عبد الله قال : كنا إذا صلينا مع النبي (ص) قلنا : السلام على الله قبل عباده ، السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل ، السلام على فلان وفلان ، فلما انصرف النبي (ص) أقبل علينا بوجهه وقال « إن الله هو السلام ، فإذا جلس أحدكم في الصلاة فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فإذا قال ذلك أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض — أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم يتخير بعد من الكلام ما شاء . وبنحوه أخرجه مسلم : الصلاة (رقم ٥٥) .

(٢) لحق من هامش الأصل .

والملائكة عليهم السلام أشرف خشية لله تعالى من غيرهم كما قال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم) [1] ، وقال تعالى : (وهم من خشيته مشفقون) [2] ، والقُربُ ثابتٌ لهم من قوله تعالى : (ولا الملائكة المقربون) [3] . وأما تسليمُ الله تعالى على البشر في الدار الآخرة فلأنهم لما قدموا على ربهم عز وجل حصل لهم تسليم القادم الذي كان غائباً وقدم على مولاه ، وأما الملائكة عليهم السلام فليس لهم مثل ذلك ، وأما سماع كلام الرب جلّ جلالُهُ فهو ثابتٌ للملائكة عليهم السلام في الدنيا والآخرة ، والأحاديثُ دالةٌ على ذلك . وأمّا الرؤيةُ فقد نصّ الشيخ أبو الحسن الأشعري إمامُ أهلِ السنة رحمه الله تعالى على إثباتها للملائكة والمؤمنين من البشر بدليل قوله تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) [4] مقتضى هذه الآية أن المؤمنين مطلقاً يدخلون الجنةَ وتثبت لهم رؤية الرب جلّ جلاله . وفي مستدرك الحاكم حديثٌ يدل على رؤية جبريل عليه السلام لله عز وجل في الدار الآخرة وأن النبي ﷺ أخبر عن جبريل عليه السلام أنه لم يرَ الله عز وجلّ قبل ذلك ، وأن الملائكةَ رؤوسُ المؤمنينَ . وعلى مقتضى استدلال الأئمة والأشعري تثبت الرؤية لمؤمني الجن) . هذا كله كلام البُلقيني رحمَه الله تعالى .

---

(١) ١٦/٥٠ — النحل .
(٢) ٢١/٢٨ — الأنبياء .
(٣) ٤/١٧٢ . النساء .
(٤) ٨٣/١٥ — المطففين .

فائدة

قال ابن أبي حمزة رحمه اللهُ تعالى في حديث عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه : (ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه الله تعالى يوم القيامة ليس بينَه وبينه ترجُمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامهُ ، ثم ينظرُ بين يديــه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتّقيَ النار ولو بشق تمرةٍ فليفعل)[1] : فيه دليل على أن رؤيته تعالى وكلامه ، وما كان من صفاته عز وجَل إذا تجلى لعبدهِ بذاته أو بصفةٍ من صفاته تعالى لا يقدر العَبد أن يرى معه تعالى أو مع صفةٍ من صفاته شيئاً . يؤخذ ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام : ثم ينظر .... الخ وذلك بعد فراغه من سماع الكلام فدل ذلك على أنه تعالى عندما يتجلى لعبده بصفةٍ من صفاته وهي الكلام لم يمكنه مع ذلك أن ينظر إلى شيء .

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري : الرقاق (رقم ٦٥٣٩) ، مسلم : الزكاة (رقم ٦٧) .
وأثبت بهامش الأصل هنا :
وما أحسن قول بعضهم على معنى هذا الحديث :

عجبت من عاقل لبيب ، يلعب في الفانيات عمره
ويبذل المال في متاع ، يفنى ويبقى عليه حسرة
بين يديه الغداة نار ، ما يتقيها بشق تمره

ومما يقوي ذلك ويوضحه ما جاء في الذين يَرونه عز وجل في الجنة أنهم لا يقدرون معه أن يلتفتوا إلى الجنة ولا إلى شيء من نعيمها . قال : وفيه دليل على قرب النار من أهل المحشر . ثم قال : وبقي النظر في قوله ﷺ « ومنكم » هل يعود ذلك على جنس بني آدمَ ، أو هو لجنس المؤمنين مطلقاً ظاهراً للفظ محتملٌ وما جاءَ في الكتاب العزيز يُخصّصه وهو قوله تعالى: كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبونَ، فبهذا يتخصّصُ هذا اللفظ وبقيَ الكلام للمؤمنين خاصةً صالحهم وغيرُه .

فائدة : وقال في حديث الرؤية في الموقف في قوله ﷺ : وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل .. الخ[1] ، يحتمل أن يريدَ بالأمة الجنسَ يعني أمةَ التوحيد من الثقلَين من أول العالَم إلى آخره ، ويحتمل العهدَ يعني به أمةَ محمد ﷺ ، لا غير .

قال : والأظهر أنها الجنس بدليل قوله ﷺ فيه: « ما عدا عُبادَ الطواغيت » . (أي من عدا عباد الطواغيت) ، وهم جميع الرسل وأممهم من الجن والإنس ولقوله ﷺ بعدُ فأكونُ أولَ من يجوز من الرسل بأمته ففيه دليل على أنه عنَيَ بالأمة جميعَ الموحدينَ من آدم إليه ﷺ .

---

(١) متفق عليه (البخاري : التوحيد رقم ٧٤٣٧ – مسلم : الايمان رقم ٢٩٩) في حديث طويل أوله : قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة . فقال (ص) : هل تضارون في القمر ليلة البدر . قالوا : لا ... إلى قوله (ص) : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئاً فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها الحديث .

وقال في موضع آخر : قال أهل العلم بالمعرفة والشريعة : إنّ التجلي في دار الكرامة يكون فيه للناس تفاوتٌ على قدر معرفتهم في هذه الدار بالإجلال والإعظام .

وهذا آخر ما أردنا إيراده ، والله الموفّقُ للصواب .



تم بحمد الله وعونه في ثالث عشر محرم الحرام سنة ١٢٤٥ هجرية على يد كاتبه لنفسه من فضل ربه الفقير عبد الكافي بن أحمد بن أحمد ابن عابدين . غفر الله له ولوالديه وللمسلمين . آمين(*) .

(*) وكان الفراغ منه عصر الرابع والعشرين من رجب الفرد وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أبو الفـداء .

ألحقنا بإسبال الكساء على النساء

رسالة السيوطي

المسماة

تحفة الجلساء برؤية الله للنساء

إتماماً للفائدة

وهي رسالة مختصرة يظهر لقارئها أنّ المصنف قد صنّفها أولاً

ثم عندما اجتمع رأيه في المسألة وظهر له الدليل صنف رسالته

المفصلة (إسبال الكساء)

وتحفة الجلساء إحدى رسائل السيوطي التي

ضمنها كتابه (الحاوي للفتاوي)

تحفة الجلساء ، برؤية الله للنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة : رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكُل أحدٍ الرجالِ والنساء بلا نزاع ، وذهب قَوْمٌ من أهلِ السُّنَّةِ إلى أنها تحصل فيه للمنافقين أيضاً ، وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضاً ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة ، وله شاهد رويناه عن الحسن البصري .

وأما الرؤية في الجنة : فأجمع أهلُ السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصِّدِّيقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة ، واختلف بعد ذلك في صور :

• إحداها : النساء من هذه الأمة ، وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء حكاها جماعةٌ منهم الحافظ عماد الدين بن كثير في أواخر تاريخه ، أحدُها : أنهن لا يَرَيْنَ ، لأنهن مقصوراتٌ في الخيامِ ، ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن ؛ والثاني : أنهن يَرَيْنَ : أخذاً من عُمومات النصوص الواردة في الرؤية . والثالث : أنهن يريْنَ في مثل أيام الأعياد ،

فإنّه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلّياً عاماً فيريته (في مثل هذه الحال دون غيرها ، قال ابن كثير : وهذا القول يحتاج) إلى دليل خاص عليه .

وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف : كُلُّ يومٍ كان للمسلمين عيداً في الدنيا ، فإنه عيد لهم في الجنة ، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ، ويتجلى لهم فيه ، ويوم الجمعة يدعى في الجنة يوم المزيد ، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة ، وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كنّ يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة ، هذا لعموم أهل الجنة ، فأما خواصُّهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم بكرة وعشيا ، انتهى .

قلت : الحديثُ الذي أشار إليه ابن رجب — ولم يقف عليه ابن كثير — أخرجه الدارقطني في كتاب الرؤية[1] قال : حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا مروان بن جعفر ثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم ثنا عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عزّ وجلّ ، فأحدثـهـُم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة ، ويراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر » .

• الثانية : الملائكة : فذهب الشيخ عز الدين ابن عبد السلام إلى أنهم لا يرون ربهم ، لأنهم لم يثبت لهم ذلك كما ثبت للمؤمنين من البشر ، وقد قال تعالى : (لا تُدرِكه الأبصار) خرج منـــه مؤمنو البشر بالأدلة الثابتة ،

(١) الرؤية للدارقطني ما زال مخطوطاً ، توجد منه نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

فيبقى على عمومه في الملائكة ، ولأن للبشر طاعات لم يثبت مثلها للملائكة كالجهاد والصبر على البلايا والمحن والرزايا وتحمل المشاق في العبادات لأجل الله ، وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ، ولم يثبت مثل هذا للملائكة . انتهى .

وقد نقله عنه جَمْعٌ من المتأخرين ولم يتعقبوه بنكير ، منهم الإمام بدر الدين الشبلي صاحب « آكام المرجان ، في أحكام الجان » والعلامة عز الدين ابن جماعة في شرح جمع الجوامع ، ولكن الأقوى أنهم يرونه ، فقد نصّ على ذلك إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري قال في كتابه « الإبانة ، في أصول الديانة » ومنه نقلت ما نصه : أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ، ثم رؤية نبيه ﷺ ؛ فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصدّيقين النّظَر إلى وجهه عزّ وجلّ ، انتهى .

وقد تابعه على ذلك الإمامُ الحافظ البيهقي ، قال في كتاب الرؤية « باب ما جاء في رؤية الملائكة ربهم » أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأحمد بن الحسن قالا : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق حدثني أمية ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم قال : خلق الله الملائكة لعبادته أصنافاً ، وإن منهم لملائكةً قياماً صافّينَ من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلّى لهم تبارك وتعالى ونظروا إلى وجهه الكريم ، قالوا : سبحانك ما عَبَدْناكَ حقّ عبادتك ، وأخبرنا محمد بن

عبد الله وأحمد بن الحسن قالا : ثنا أبو العباس ثنا محمد بن إسحاق ثنا روح ابن عبادة ثنا عباد بن منصور قال : سمعت عديَّ بن أرطاة يخطب على منبر المدائن ، فجعل يعظنا حتى بكى وأبكانا ، ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه : يا بني أوصيك أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت ، ولقد سمعت فلاناً — نسي عباد اسمه — ما بيني وبين رسول الله ﷺ غيره ، قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن لله ملائكة تُرْعَدُ فَرائِصُهم من مخافته ، ما منهم مَلَكٌ تقطر دمعة من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح ، قال : وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة (وركوعاً لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة) وصفوفاً لم ينصرفوا عن مَصافّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلّى لهم ربهم فينظرون إليه ، قالوا : سبحانك ما عَبَدْناكَ كما ينبغي لك » أخرجه أبو الشيخ في العظمة ، ولفظه « فإذا رفعوا ونظروا إلى وجه الله تعالى قالوا : سبحانك ما عَبَدْناكَ حقَّ عبادتك » .

وممن قال برؤية الملائكة من المتأخرين العلامة شمسُ الدين بن القيم ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني ، وهو الأرجح بلا شك ، ومنهم من قال : إن جبريل عليه السلام يَراه دون سائر الملائكة ؛ لأنه وقف على الحديث الذي ورد فيه رؤيته ، ولم يقف على الحديثين السابقين في رؤية الملائكة على العموم ، ومشى عليه أبو إسحاق (إسماعيل) الصفار البخاري من الحنفية ، فإني رأيت في أسئلته المشهورة ما نصه : سُئل عن الملائكة هل يرون ربَّهم ؟ فأجاب اعتمادُ والدي الشهيد (أنهم) لا يرون ربهم ، سوى جبريل ، فإنه يرى ربه مرة واحدة ، ولا يرى أبداً ، انتهى .

والصواب العموم ، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « تمد الأرض يوم القيامة مداً لعظمة الرحمن ، ثم لا يكون لبشر من بني آدم إلا موضع قدميه ، ثم أدعى أول الناس فأخر ساجداً ، ثم يؤذن لي فأقوم فأقول : يا رب ، أخبرني هذا ، لجبريل — وهو عن يمين الرحمن : والله ما رآه جبريل قبلها قط — أنك أرسلته إليّ ، قال : وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله : صَدَقَ ، ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول : يا رب عبادك عَبَدُوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود » قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، قال : لكن أرسله مَعْمَر عن ابن شهاب عن علي بن حسين بنحوه ، وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن رجل من أهل (العلم) ولم يسمه « إن الأرض تمدّ يوم القيامة » الحديث .

وقال عبد الرزاق في تفسيره : أنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ قال : « إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض مدّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قَدَمَيْه ، قال : فأكون أول من يُدْعى وجبريلُ عن يمين العرش ، والله ما رآه قبلها ، فأقول : أيْ رَبِّ إن هذا أخبرني أنك أرسلته إليّ ، فيقول الله عز وجل : صَدَق ، ثم أشفع فأقول: يا ربِّ عَبَدُوك في أطراف الأرض ، وهو المقـــام المحمود » أخرجه ابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وَهْب ثنا عمي ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين قال : أخبرني رجل من أهل العلم أن النبيّ ﷺ قال : « تمدّ الأرض يوم القيامة مَدّ الأديم لعظمة الرحمن ، ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه ،

فأدْعَى أولَ الناسِ ، فأخرّ ساجداً ، ثم يؤذن لي فأقول : يا رب ، أخبرني هذا ، بجبريل — وجبريل عن يمين الرحمن ، والله ما رآه جبريلُ قطُّ قبلها — أنك أرسلته إليّ ، وجبريلُ ساكتٌ لا يتكلم ، حتى يقول الرحمن تبارك وتعالى : صدقت ، قال : ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول : أي ربِّ عبادَك عَبَدُوك في أطراف الأرض ، فذلك المقام المحمود » .

• الثالثة : الجن : وقد نقل صاحب « آكام المَرْجان » مقالة الشيخ عزّ الدين في الملائكة . ثم قال : والجنُّ أولى بالمنع منهم ، وقال الجلال البلقيني : لم أقف على كلام أحد من العلماء تعرض لهذه المسألة ، ولم تثبت الرؤية إلا للبشر . ثم نقل كلام الشيخ عز الدين في أن الملائكة لا يرون ، ثم قال : وإذا كان ذلك في الملائكة نفي الجن بطريق الأولى . ثم قال : وقـد يتوقف في الأولوية ؛ لأن الإيمان في عُرْف الشرع يشمل مؤمني الثقلين ، ثم قرّر ثبوت الرؤية للملائكة ، ثم قال : وعلى مقتضى استدلال الأئمة والأشعريّ تثبت الرؤية لمؤمني الجن .

• الرابعة : مؤمنو الأمم السابقة : وفيهم احتمالان لابن أبي جَمْرة ، وقال : إن الأظهر مُساواتهم لهذه الأمة في الرؤية ، والله أعلم .

مسألة : قال الدارقطني : أخبرنا الحسن بن إسماعيل أنا أبو الحسن علي ابن عبدة ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليتجلّى للناس عامّة ، ويتجلّى لأبي بكر خاصة » في المغني للذهبي : علي بن عبدة وَضّاع ، وقلتم في تأليفكم النكت البديعيات على الموضوعات : إن للحديث طريقاً على شرط الحسن ، وأخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ « يتجلّى للخلائق » فلم لم تستدلوا به على رؤية الملائكة يوم القيامة مع ذَيْنك الحديثين ، واللفظُ

الأول يستدل به على الرؤية لبني آدم مطلقاً الرجال والنساء في العيد وغيره ، وأنه ليس مقيداً بوقت معلوم ، لا سيما وهو حسن .

الجواب : الاستدلال إنما يكون بالألفاظ التي لا يطرقها الاحتمال ، ومتى طرق اللفظ الاحتمال سقط به الاستدلال ، والخلائق يحتمل أن يحمل على بني آدم فلا يستدل به على الملائكة ، خصوصاً وقد ورد بلفظ « الناس » الخاص ببني آدم وهذا التجلّي العام يمكن حمله أولاً على الذكور الذين يحضرون الزيارة فيكون من خصوص الأفراد ، ويمكن حمله على التجلي أيام الأعياد فيكون من خصوص الأوقات ويشمل الإناث ، ويمكن حمله — وهو الأظهر — على التجلي في الموقف ، وذلك شامل للخلق بأسْرِهم الإنس والجنّ والملائكة والذكور والأناث ، وإن ورد في بعض ألفاظه « يوم القيامة » قوّى هذا الحمل الأخير ، فانزاح الإشكال ، والله أعلم .

المـراجـع

- صحيح البخاري . للامام البخاري (المطبوع مع فتح الباري طبع السلفية الثانية) .
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج . ترقيم وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي . ط . عيسى الحلبي .
- سنن أبي داود ، ط . مصطفى الحلبي .
- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ط . الحلبي .
- سنن ابن ماجة ، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط . الحلبي .
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري . تصحيح وتعليق محمد المنتقى الكشناوي ط . دار العربية للطباعة والنشر . بيروت .
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي . طبع حسام الدين القدسي .

- جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبري . ط . بولاق الأميرية سنة ١٣٢٨ هـ .

- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير . ط . دار الشعب .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ط . مطبعة السعادة .

- التاريخ ليحيى بن معين دراسة وترتيب وتحقيق د . أحمد محمد نور سيف . ط . السعودية .

- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء المتروكين لابن حبان البستي . تحقيق محمود إبراهيم زايد ط . دار الوعي حلب .

- الثقات لابن حبان البستي طبع دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٩٩ .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله الذهبي تحقيق علي محمد البجاوي . ط . عيسى الحلبي .

- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني . ط . دائرة المعارف العثمانية .

- آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان للبدر محمد بن عبد الله الشبلي ت ٧٦٩ تصحيح وتعليق عبد الله بن محمد الصديق ط . محمد علي صبيح سنة ١٣٧٦ .

- الجامع الكبير للجلال السيوطي .

- الجامع الصغير للجلال السيوطي .

- فيض القدير للمناوي .

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

- موسوعة أطراف الأحاديث النبوية لأبي هاجر محمد السعيد بسن بسيوني زغلول - مخطوط .

الفهرس

الصحيفة

الصحيفة

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

مطابع يوسف بيضون
هاتف ٨٣٠٩٤٠ - بيروت - لبنان